

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة د مولاي الطاهر سعيدة.

كلية الآداب و اللغات و الفنون.

قسم اللغة العربية وآدابها.



مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس
تخصص: لسانيات عامة.

بعنوان:

دلالة السياق وأثرها في توجيه القراءات
القرآنية

إشراف الأستاذ:

- أ.د. رويسات محمد

إعداد الطالبتين:

- لعيدي سناء.

- بركات خديجة.

السنة الجامعية 2019 – 2020.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

- الحمد لله القادر المقتدر من هو أطف من العباد وأحن من الآباء الذي قال في كتابه "ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا " ربي اغفر لي ولوالدي وللمسلمين

إلى من هي أندى من قطرات الندى ... وأصفى من ماء الدجن إلى المثل العالي...والقدوة الصارخة ... رمز الإرادة المتجددة... إلى من رافقتني دعواتها في كل خطوة من خطوات حياتي ... إليك أُمي الغالية.

إلى من أستمد منه قوتي واستمراريتي ...من ألبسني ثوب المكارم والأخلاق والأدب ومن كان فتوى أفندي... بها... إليك أبي العزيز إلى من تقاسمت معهم حلوة الحياة ومرها... إلى من كانت سمتهم ونظرتهم تبعث في نفسي القوة والحب في الحياة...إخوتي الأعزاء.

سناء

الإهداء

الحمد لله الذي بلغني مرادي وهداني، الحمد لله وحده الذي لولاه ما كنت لأصل إلى إنجاز هذا العمل الذي هو ثمرة جهدي إلى من أحببناه دون أن نراه سيدنا وحبينا محمد الأمين.

إلى اللذين سمياني وربباني وعلماني ولم يزالا يراعياني، إلى من وضعت الجنة تحت قدميها، إلى من لا تغادر بالي صورتها ويدغدغ أذني همسها، إلى من تعشق العين رؤيتها التي مهما قلت لن أكفيها، إلى الصدر الحنون أمي الغالية.

إلى من أثار درب حياتي، الذي دعمني في مشواري الدراسي منذ خطواتي الأولى إلى المدرسة، إلى مثلي الأعلى أبي العزيز.

إلى من يدهشني صبره ويعجبني وفاؤه أخي الكبير مصعب باديس، إلى أخواتي أسماء صفية وفاطمة، إلى صانع الفرحة محبوب العائلة أسامة.

كما لا يفوتني أن أخص- بإهدائي- الأهل و الأقارب و جميع من شجعني على دراستي.

وأن نسأل الله العزيز العظيم أن يوفقني في مشواري.

خديجة

شكر و عرفان

الحمد لله والشكر المنه لله تعالى أولا وأخيرا على نعمة التوفيق وسداد
الخطى في الطريق.

ثم الشكر الجزيل لمن قدما لنا يد العون بأسلوب أو آخر وأخص بالذكر
الدكتور رويسات محمد.

كما نتقدم بالشكر والتقدير الكبير إلى من كانت لنا عوناً في رسالتنا هاته
دائماً الأخت نجاهة ونتمنا لها أن تتحقق أمنياتها والتي اقتربت صورتها
المتواضعة على السطح النقي وعمل الخير.

إلى كل من ساعدنا من قريب وبعيد على انجاز هذا العمل وشكراً لجميع
أساتذتنا والذي منهم استفدنا الكثير وإلى عمال جامعة الدكتور مولاي
الطاهر وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين.

خطة البحث:

- مقدمة.

- مدخل.

مفهوم السياق.

أنواع السياق.

أهمية السياق.

الفصل الأول: القراءات القرآنية والأحرف السبعة.

المبحث الأول: مفهوم القراءات القرآنية.

المبحث الثاني: أقسام القراءات القرآنية.

المبحث الثالث: أركان القراءة الصحيحة.

المبحث الرابع: مفهوم الأحرف السبعة.

المبحث الخامس: علاقة القراءات القرآنية بالأحرف السبعة.

الفصل الثاني: تجليات دلالة السياق في توجيه القراءات القرآنية.

المبحث الأول: دلالة السياق وأثرها في تفسير القرآني.

المبحث الثاني: العلاقات الدلالية الذهنية وطريقة الكشف عن المعنى

السياقي.

خاتمة.

قائمة المصادر والراجع.

مَقْلَمَةٌ

الحمد لله الذي جعلنا من أمة العرب التي أعلى شأنها وبارك مقامها، إذ أنزل
وحيه الكريم بلغتنا مما

زادها سمواً وإجلالاً، والحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم، وأنزل
هدية على رحمته المهداة للعالميين لينير به القلوب الغاشية ويكشف فيها بنوره بعد
ما رانت وقست والحمد لله الذي أظهر على أيديهم مفاتيح علوم اللغة من صرف
ونحو وبلاغة..... فكانت دراسة السياق مبحثاً من مباحثها للولوج إلى بحر وحيه
الكريم واقتناص ما حواه من درر مقاصد الشريعة الإسلامية، فتضافرت جهود
اللغويين

والأصوليين لبيان هذه المقاصد ومعرفة كنهها من خلاله، لذا كان اختيارنا لهذا
الموضوع الموسوم ب(دلالة السياق وأثرها في توجيه القراءات القرآنية).
يعد السياق من أهم المباحث التي اهتم بها العلماء قديماً وحديثاً، حيث يعتبر محورا
رئيسياً من محاور الدلالة، وثمررة اللسانيات، حيث أن غاية علوم اللغة هو جميعاً
الوصول إلى المعنى.

فدلالة السياق تعد من القضايا التي نالت اهتمام العلماء والباحثين منذ القدم وهذا ما
حملنا على اختياره مجالاً للبحث وكذلك رغبتنا الملحة في دراسة وبيان مقاصد
القراءات القرآنية من خلال ملبسات السياق ودلالاته، وفي إنجاز هذه المذكرة
إجابة على الإشكالات التالية:

ما ماهية السياق؟ وما هي أهميته؟

وما هو مفهوم القراءات القرآنية، وما علاقتها بالأحرف السبعة؟

وما هي تجليات دلالة السياق في القراءات القرآنية؟

وللإجابة عن هذه الإشكاليات قسم البحث إلى مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة.

أما المدخل: فيه تركيز على مفهوم السياق وأهميته.

والفصل الأول: الذي تعلق بالجانب النظري: القراءات القرآنية والأحرف السبعة
واندرج تحت هذا الفصل ثلاثة مباحث:

الأول: يتناول مفهوم القراءات القرآنية، أما المبحث الثاني فهو يتناول أقسام
القراءات القرآنية، أما المبحث الثالث فهو بعنوان: أركان القراءة الصحيحة.

والمبحث الرابع يتناول مفهوم الأحرف السبعة، وأخيراً المبحث الخامس خصّصناه
ل: علاقة القراءات بالأحرف السبعة.

أما الفصل الثاني عنوانه تجليات دلالة السياق في توجيه القراءات القرآنية، من خلال شواهد قرآنية (تطبيقية).

و الخاتمة كانت عبارة عن حصيلة لأهم النتائج المتوصل إليها في هذا الموضوع، وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي. وبناء على هذا فقد اعتمدنا على مجموعة من المراجع أهمها التأويل اللغوي في القرآن الكريم للدكتور حسين حامد صالح، وكتاب هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي.

و قد واجهتنا في بحثنا بعض الصعوبات التي كانت تصادفنا من حين لآخر، منها ما تعلق بتشتت المادة بين علوم مختلفة وعصور متباينة، ومنها كذلك الوباء الذي انتشر مما صعب علينا التواصل مع الأستاذ، إضافة إلى صعوبة التنسيق بين الطالبتين الباحثتين للظروف المعلومة، نسأل الله عز وجل أن يرفع عنا هذا الوباء و يرحمنا برحمته الواسعة، والشكر لله تعالى الذي بعونه وقدرته تم إنجاز هذه المذكرة، كما نتقدم بالشكر الجزيل والعرفان الجميل للأستاذ المشرف رويسات محمد على مساعدته وتوجيهاته ونصائحه القيمة وعطائه العلمي وصبره الدائم على ما قد بدر منا من تفسير، فله كل الامتنان والتقدير، والشكر موصول إلى أعضاء لجنة المناقشة على قراءتهم لهذا البحث وتحملهم مشاققة النظر والمتابعة والتقييم، كما لا ننسى أن نتقدم بخالص شكرنا لكل من أعاننا من قريب أو بعيد. والحمد لله أولاً وأخيراً، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد صلى الله عليه وسلم.

مدخل

تعد نظرية السياق أحد المناهج الحديثة في دراسة المعنى وقد أخذت هذه النظرية مكانة متميزة في البحث الدلالي عند علماء اللغويات في العصر الحديث.

1- مفهوم السياق:

- التعريف اللغوي:

نسعى في هذا القسم من الدراسة إلى الوقوف عند مختلف مظاهر لفظ السياق من خلال مجموعة من المعاجم، فقد جاء في لسان العرب في مادة سوق يقول السوق: معروف ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقا وسياقا وهو سائق وسواق وقد انساقت وتساوقت الإبل تساوقا تتابعت وساق إليها الصداق والمهر سياقا واساقة وإن كان دراهم أو دنانير لأن أصل الصداق عند العرب الإبل هي التي تساق فاستعمل ذلك في الدرهم والدينار وغيرهما.

يقال فلان في السياق أي في النزاع، وللسياق نزع الروح وأصله سواق فقلبت الواو ياء بكسرة السين وهما مصدران من ساق يسوق، وفي الحديث دخل سعيد على عثمان وهو في السوق كأن روحه تساق لتخرج من بدنه، ويقال له السياق أيضا.

التعريف الاصطلاحي:

لم تكن اللسانيات النصية وحدها من اهتم بالسياق بل كان محور اهتمام اللسانيات بصفة عامة، إذ يعني مصطلح السياق التركيب أو السياق الذي ترد فيه الكلمة ويسهم في تحديد المعنى المتصور لها.

يتكون مصطلح السياق (contexte) من مقطعين cont/text أي مع النسيج، فالسياق لفظ يتكون من سابقة cont تفيد المشاركة أي وجود أشياء مشتركة تقوم بتوضيح النص وهي فكرة تتضمن أموراً أخرى تحيط بالنص، كالبنية المحيطة والتي يمكن وصفها بأنها الجسر بين النص والكل.

1- حامد الصالح، التأويل اللغوي في القرآن الكريم دراسة دلالية، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص ب، 14/6366، ص 47-48.

2- ابن منظور أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، 1992، ص 102/166.

3- المرجع نفسه، ص 48.

و السياق في حد ذاته معادلة لفظية ذات مستويات منها: مستوى المنطوق ومستوى المفهوم بقصد سياق الكلام، فهو نتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه. و سياق الحوادث مجراها وتسلسلها وارتباطها بعضها ببعض، فإذا جاء الحادث متفقا مع الظروف المحيطة به كان واقفا في سياقها، وإذا جاء مخالفا لها، وجب البحث عن علة الخلاف، أي أن مخالفتها للسياق نتيجة لأسباب نفسية أو اجتماعية.

2- أنواع السياق:

إن تعدد أنواع الكلمة الواحدة يرجع إلى تعدد المواضع التي ترد فيها، والذي يؤدي بدوره إلى أنواع عديدة من السياقات، ويرى أصحاب نظرية السياق أن معنى الكلمة هو استعمالها في السياق، ولهذا صرح فيرث بأن المعنى لا يكشف إلا من خلال وضع الوحدة اللغوية في سياقات مختلفة، ومن هنا فإن دراسة معنى أي كلمة من الكلمات يتطلب تحليل السياقات والموافق التي ترد فيها، ومن هنا نتطرق إلى أنواع السياق:

1-2- السياق اللغوي: *contexte linguistique*

يعرفه علماء اللغة بأنه: النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم وهو يشمل عندهم الكلمات والجمل السابقة واللاحقة للكلمة والنص الذي ترد فيه، فهو الموقع الذي ترد فيه اللفظة في الجملة، فتكسب من ذلك الموقع توجيهها دلاليا وقد ترد في موقع آخر فتكتسب دلالة أخرى في السلسلة الكلامية.

ومن هنا نستنتج أن السياق اللغوي هو الذي لا ينظر إلى الكلمات كوحدات منعزلة فالكلمة يتحدد معناها بعلاقتها مع الكلمات الأخرى في السلسلة الكلامية.

فالسباق اللغوي يشمل مكونات أساسية هي:

أ- **السياق الصوتي:** يهتم بدراسة الصوت داخل سياقه، إذ يعتبر الفونيم المادة الأساسية في قيم الدلالة باعتباره وسيلة مهمة لتوزيع الأصوات داخل السياق وفقا محتواها الوظيفي مثلا: قال- كال، ليس للصوت درجة قيمة داخل نفسه وإنما مهمته الوظيفية تكمن في تأثيره الدلالي داخل منظومة السياق.

ب- **السياق الصرفي:** إن المورفيمات سواء كانت حرة أو مقيدة لا قيمة لها إلا إذا كانت ضمن سياق تركيبى معين، ومثلها أحرف المضارعة وسواها، حيث تمارس وظيفتها داخل النص.

ج- **السياق النحوي:** هو شبكة من العلاقات القواعدية التي تحكم بناء الوحدات اللغوية داخل النص، وفيها تقوم كل علاقة بمهمة وظيفية تساعد على بيان الدلالة من خلال القرائن النحوية كالإعراب مثلاً.

د- **السياق المعجمي:** هو مجموع العلاقات الصوتية التي تتضافر من أجل تخصيص الوحدة اللغوية ببيان دلالي معين، يمنحها القدرة على التركيب وفق أنظمة اللغة المعينة، فاجتماع معاني المفردات وعلاقتها مع بعضهما البعض داخل السياق هو الذي يساعد على إنتاج المعنى العام لأي تركيب.

هـ - **السياق الأسلوبى:** يظهر هذا اللون من السياق في النصوص الشعرية والشرفية أكثر منه في اللغة العادية لما يمتلكه من قوة النسيج لأنه ملك الفرد ذاته.

2-2- سياق غير لغوي:

1- سياق المقام أو الحال: context de situation

يرى الدارسون المحدثون أن معاني الكلمات في المعجم ليست هي كل شيء في إدراك معنى الكلام، فثمة عناصر غير لغوية لها أثر كبير في تحديد المعنى ومن تلك العناصر شخصية المتكلم وشخصية المخاطب وما بينهما من علاقات وهو ما يسمى بالموقف الكلامي أو الحال، وكمثال توضيحي من الشعر العربي في قول جيبهء الأشجعي:

أمولى بن تميم ألت مؤديا * * * منيحتنا فيما تؤدي المنائح.

فلفظ منيحة من الألفاظ التي قد تحمل عددا من الدلالات كما جاء في لسان العرب منحه الشاة والناقة أعاره إياها، منحه الناقة جعل له وبرها وولدها ولبنها، وهي المنحة والمنيحة.

يذكر ابن جني في كتابه الخصائص رأيه بدقة ووضوح في سياق المقام، وذلك في تحديد دلالات الألفاظ باعتبارها ألفاظ دالة متواضع عليها في البيئة والمجتمع. ونستنتج أن سياق الحال أو سياق المقام هو كل ما يحيط باللفظ من ظروف تتعلق بالمكان أو المتكلم أو المخاطب في أثناء النطق.

1- ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، ج 1، ص 66.

2- السياق العاطفي: *contexte sentimentale*

سمي العاطفي، لأنه ينجم عما يختلج في النفس من أحاسيس مفرطة، وما يصاحبها من انفعالات سواء كانت إيجابية أم سلبية.

وهو الذي يحدد طبيعة استعمال الكلمة بين دلالتها الموضوعية ودلالاتها العاطفية، كما يحدّد أيضا درجات الانفعال حسب القوة والضعف، مما يتطلب قرائن بيانية تؤكد عمق أو سطحية هذا اللون من الانفعال، فمثلا عند التعبير عن أمر فيه غضب وشدة انفعال فإننا ننتقي الكلمات ذات الشحنة التعبيرية القوية أو المعبرة إلى درجة أنّ المتكلم نفسه قد لا يقصد استعمال هذه الكلمات مثل: القتل، الذبح... أو غير ذلك.

ومن هذا نتأكد من أن السياق العاطفي كان يلعب دورا هاما في حياة العربي.

ج- السياق الثقافي:

يعرف هذا السياق بأنه المحيط الثقافي بمفهومه الواسع للمجتمع اللغوي، حيث يختلف المفهوم الذهني للألفاظ باختلاف السياقات الثقافية، وبذلك نعتبره الإطار العام الذي بداخله يتم إحداث المواقف اللسانية المميزة والدالة من وجهة نظر اجتماعية، إذ يمكن أن تكون نفس الكلمة إلا أنها باختلاف الوسط الثقافي المتواجد فيه، قد تؤدي المعنى المراد ومثالنا على ذلك كلمة جذر التي لها معنى عند الرياضي، وبتعدد السياقات الثقافية يعدد المعنى وفقا لها.

3- أهمية السياق:

لقد عبر ابن القيم عن أهمية السياق في دراسة المعنى في قوله: "السياق يرشد إلى تبين المجمل وتعيين المحتمل، والقطع بعدم الاحتمال غير المراد، وتخصيص العام وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهذا من أعظم القرائن الدالة على المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته.

أما المفسرون فقد وضعوا شروطا للمفسر، يتمكن من خلالها تفسير القرآن تفسيراً سليماً، وهذه الشروط تمثل في مجملها أركان السياق الحالي، ومعرفة أسباب النزول (الأحداث والوقائع الملازمة للنص القرآني)، ولاشك أن استحضارها يعين على فهم معاني الآيات، وهو ما ذهب إليه أئمة التفسير، وبهذه المعرفة يزول الإشكال في فهم كثير من النصوص القرآنية، وبهذه الشروط قد أدرك المفسرون السياق.

من خلال ما قدمناه بخصوص اهتمام علماء العرب بالسياق ودوره في توضيح المعنى وتبين لنا أنه يرجع لهم الفضل في ظهورا لإرهاصات الأولى لنظرية السياق التي أتى بها فيرث.

أهمية السياق القرآني:

إن السياق دور كبير في تحديد الدلالة المقصودة من الكلمة في جملتها، حيث أنه يضبط حركات الإحالة بين عناصر النص، فلا يفهم معنى الكلمة أو الجملة إلا بوصلها بالتي قبلها أو بالتي بعدها داخل إطار السياق، حيث أن دلالة السياق معتبرة في الشريعة الإسلامية فهو يعتبر منهج في فهم القرآن وتفسيره، فلا يفهم كلام العرب إلا ضمن سياقه والقرآن الكريم نزل بلغة العرب، يقول الله تعالى: [وَأِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ] سورة الشعراء 192-195¹.

والني صلى الله عليه وسلم أفصح العرب وأعلمهم بدلالات ألفاظ العربية، يقول الشافعي-رحمه الله: ولسان العرب أوسع الألسنة مذهبا، وأكثرها ألفاظا ويحيط بجميع علمه إنسان غير نبي، ولكنه لا يذهب منه شيء على عامتها، حتى لا يكون موجودا فيها من يعرفه.

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم اعتبار هذه الدلالة أي السياق واستخدامه بما يدل على أهميتها وأصالتها، فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها، عندما سألته عن قوله عز وجل: [وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ]² سورة المؤمنون 60.

¹ - سورة الشعراء، الآية 192 / 195

² - سورة المؤمنون، الآية 60.

الفصل الأول

القراءات القرآنية:
أقسامها و أركانها و
سبب اختلافها.

المبحث الأول: مفهوم القراءات القرآنية.

- تعريف القراءات:

- القراءات لغة:

القراءات جمع قراءة، و هي مصدر من قرأ يقرأ قرآناً،¹ و اسم الفاعل منه قارئ و جمعه قراء، و يرد الفعل غير مهموز كقري، و لا يختلف مع الأول في معناه. قال ابن فارس: "قري) القاف و الراء و الحرف المعتل أصل الصحيح يدل على الجمع و الاجتماع، وإذا همز هذا الباب كان هو و الأول سواء، و يطلق لفظ قرأ و يراد به عدة معان، فإذا قلت: قرأ القرآن معناه به مجموعاً أي ألفيته و أقرأت حاجتك إذا دنت"

و منه نستنتج أن مادة (قرأ) لها مفاهيم عدة و هي النطق بألفاظ القرآن و هي ما يكون المعنى فيها متقناً والمعنى المستخلص ادن من مادة قرأ هي دلالة الجمع والضم والاجتماع.

- تعريف القراءات القرآنية اصطلاحاً:

القراءات: علم بكيفية النطق بألفاظ القرآن اتفاقاً واختلافاً، معزوه لناقله، والعلم بكيفية النطق بألفاظ القرآن هو المسمى عند أهل القرآن القراءة بالتجويد وهو جزء من علم القراءات ومدار تجويد القرآن على ثلاثة أمور:

- 1- معرفة مخارج الحروف.
 - 2- معرفة صفات الحروف كالجهر والهمس وغيرهما، وما ينشأ عن تلك الصفات من ترقيق المستقل وتفحيم المستعلي مثلاً.
 - 3- معرفة ما يتجدد لهذه الحروف بسبب التركيب من الأحكام.
- والقراءات علم يعرف منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى²، واختلافهم في اللغة والإعراب والحذف والإثبات والتحريك والإسكان وغير ذلك من هيئة النطق، فالقراء مثلاً اتفقوا على قراءة (الرحمن الرحيم) في الفاتحة بالجر، واختلفوا في لغات ألفاظ مثل اختلافهم في لفظ القدس. حيث قرأ ابن كثير بإسكان الدال في جميع القرآن والباقون بالضم، وهما لغتان حسنتان واختلفوا في الإعراب كاختلافهم في لفظ (الأرحام) بداية سورة النساء، حيث قرأ حمزة بالجر، والباقون بالفتح واختلفوا

¹ - التواتي بن التواتي، القراءات القرآنية وأثارها في النحو العربي والفقاه الإسلامي، دار الوعي للنشر، ص 142.

² - الحجة للقراء السبعة، لأبي علي الفارسي، ص 339.

في الحذف والإثبات كقوله تعالى: [وَمَا عَمَلَتْهُ أَيْدِيهِمْ]¹ يس، ثم إن هذا المتفق عليه والمختلف فيه وجب ثبوته من جهة النقل والسماع فلا تنسب هيئة لقراءة إلا إذا أسندت إلى ناقلها إذا القراءة سنة متبعة ونقل محض، ومن هنا نرى أن هذا المفهوم للقراءات هو مفصل وصحيح والقراءات ما هي إلا اختلافات في أداء الكلمات القرآنية حسبما نقله القراء مشافهة.

من تعريفات العلماء للقراءات القرآنية:

1 **تعريف الزركشي:** عرف الزركشي القراءات بقوله: "القراءات اختلاف ألفاظ الوحي في الحروف وكيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرها"².
2 **تعريف ابن الجزري:** "القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزواً لناقله"³.

3 **تعريف السيوطي:** عرف القراءات: ومما يشبه هذا التقسيم لدى أهل الحديث تقسيم القراء أحوال الإسناد إلى قراءة ورواية وطريق، فالخلاف إن كان لأحد الأئمة السبعة أو العشرة أو نحوهم واتفقت عليه الطرق والروايات فهو قراءة.

4 **تعريف الدمي:** عرف القراءات فقال: علم يعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله واختلافهم في الحذف والإثبات والتحريك والتسكين والفصل والوصل وغير ذلك. من كل هاته التعريفات أوافق تعريف الزركشي لأن القراءات تختص بالمختلف فيه من ألفاظ القرآن الكريم وكيفية أدائها، ولأنه يتضمن جميع العناصر التي تتواجد في حدّ القراءات.

المبحث الثاني: أقسام القراءات.

أقسام القراءات: من المعلوم أن القرآن الكريم أنزل على سبعة أحرف كما ورد في الحديث المتواتر:

قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف" ومن هنا اختلفت قراءات الصحابة والتابعين، ولسنا هنا بصدد بيان معنى هذه الأحرف² التي كثر الخلاف فيها، ولكن نريد التنبيه على أن القراءات على اختلافها ترجع إلى حرف واحد أو ما احتمله رسم المصحف من أحرف كما ذكره الطبري في كتابه في القراءات الذي لم يصل إلينا ونقله عن مكي بن أبي طالب القيسي المتوفى سنة 437هـ.

1- سورة يس، الآية 35.

2- المرجع نفسه، ص 144.

3- البيلي أحمد، الاختلاف بين القراءات، ط 1، دار الجبل، بيروت، ص 76.

حيث يتم تقسيم القراءات في ضوء توفرها على الأوصاف التالية: صحة السند- وموافقة العربية - ومطابقة الرسم إلى قسمين: المتواترة والصحيحة:

1- القراءة المتواترة:

ويعرفها ابن الجزري بقوله: "كل قراءة وافقت العربية مطلقا ووافقت احد المصاحف¹ العثمانية ولو تقديرا وتواتر نقلها، هذه القراءة المقطوع بها، وهي القراءات التي نقلها جمع غفير، ومعظم القراءات القرآنية التي نقرأ بها اليوم من هذا النوع، ولا شك أن هذا النوع من القراءات قرآن، يقرأ بها في الصلاة ويتعبد بها ويتمثل فيها الإعجاز والتحدي ويكفر جاحدها.

وهي القراءة التي انعقد لها شروط القبول الثلاثة وهي: موافقة العربية ولو بوجه وموافقة احد المصاحف العثمانية ولو احتمالا وصحة السند، أما القراءة الشاذة فهي ما اختلف فيها شرط من شروط المتواترة، وهذا هو التعريف الشامل للقراءات المتواترة.

- شروط القراءة المتواترة ثلاثة:

1- أن تكون موافقة للمصحف الإمام، لأنه الأصل المعتمد عليه، وهو المرجع، وهو صورة صادقة المكتوب في عصر النبي صلى الله عليه وسلم، فيكون القرآن متواتراً قراءة وكتابة، والله سبحانه وتعالى هو الحافظ له يوم الدين.

2- التواتر في السند: بان يرويه جمع عن جمع حتى عصر النبي صلى الله عليه وسلم.

3- أن يكون موافقاً للمنهاج العربي الثابت في اللغة، وليس معنى ذلك أن تكون أقوال النحويين حاکمة على القرآن بالصحة، فإنه هو الحاكم عليهم وهو أقوى حجج النحويين في إثبات ما يثبتون ونفي ما ينفون ولكن معنى ذلك إلا يكون فيه ما يخالف الأسلوب العربي في مفرداته وفي جملة وعباراته.²

2 - القراءة الصحيحة:

وتنقسم إلى قسمين: الجامعة للأركان الثلاثة والشاذة.

- الجامعة للأركان الثلاثة: ويعرفها ابن الجزري ب: "ما صح سنده بنقل العدل الضابط عن الضابط كذا إلى منتهى منتهاه، ووافق العربية والرسم".
تنقسم إلى قسمين أيضا: هما المستفيضة وغير المستفيضة.

1- التواتي بن التواتي، المرجع السابق، ص 257.

2- المرجع نفسه، صفحة 159.

أ- **المستفيضة:** وهي التي استفاض نقلها للأمة وتلقته بالقبول ويمثل لها ابن الجزري بما انفرد به بعض الرواة أو بعض الكتب المعتمدة وبمراتب القراءة في المد.

ب- غير المستفيضة: وهي التي لم تستفص في نقلها، ولم تتلقها الأمة بالقبول وهذا القسم موضع خلاف في قبوله عند المقرئين، والأكثر على قبوله، ويعرفها ابن الجزري بما وافق العربية وصح سنده وخالف الرسم.

ويمثل ابن الجزري بما ورد بإسناد صحيح من زيادة أو نقص أو إبدال كلمة بأخرى ونحو ذلك.

ونستطيع أن نلخصها في ثلاثة أقسام: المتواترة، الأحادية، الشاذة.

1- **المتواترة:** ونعني بها القراءة المقطوع باتصالها بالنبي صلى الله عليه وسلم سواء تواتر نقلها أم استفاض فتتظم في هذا القسم: المتواترة والمستفيضة من الأقسام المذكورة وسميتها المتواترة ولم اسمها المقطوع بها لاحتفظ بالمصطلح القرآني الموروث.¹

2- **الأحادية:** ونريد بها القراءة الجامعة للأركان الثلاثة، و لم يبلغ نقلها مستوى تفيد معه القطع باتصالها بالنبي صلى الله عليه وسلم.

3- **الشاذة:** وهي المخالفة للرسم يقول الزركشي في توجيه القراءة الشاذة: (وتوجيه القراءة الشاذة أقوى في الصناعة من توجيه المشهورة، ومن أحسن موضع فيه كتاب "المحتسب" لأبي الفتح، إلا انه لم يستوف وواسع منه كتاب أبي البقاء العكبري، وقد يستبشع ظاهر الشاذ بأداء الرأي فيه التأويل، كقراءة "إنما يخشى الله من عباده العلماء" وتأويل الخشية هنا بمعنى الإجلال والتعظيم، لا الخوف).

وقال الزمخشري: كأنه قال: إنما يخشاه مثلك ومن على صفتك: ممن عرفه حق معرفته وعلمه كأنه علمه ... فان قلت: فما وجه قراءة من قرأ [إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ] ².

وهي عن عمر بن عبد العزيز ويحكي عن أبي حنيفة قلت: الخشية في هذه القراءة استعارة، والمعنى: إنما يجلبهم ويعظمهم، كما يحل المهيب المخشى من الرجال بين الناس من بين جميع عباده، والقراءة المتواترة هي بنصب لفظ الجلالة الله مفعولا به مقدما، ورفع العلماء فاعلا مؤخرا.

¹ - التواتي بن التواتي، المرجع السابق، ص1.

² - سورة فاطر، الآية 28.

وكقراءة من قرأ: [هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِي الْمُصَوِّر]¹ بفتح الواو والراء على أنه اسم مفعول لاسم الفاعل، الذي هو الباري فإنه يعمل عمل الفعل كأنه قال: الذي برا المصور.

قال الزمخشري: في توجيه هذه القراءة: (الخالق) المقدر لما يوجد و(الباري) المميز، بعضه من بعض بأشكال مختلفة و(المصور) الممثل.

وعن حاطب بن أبي (بلتعة) أنه قرأ: الباري والمصور بفتح الواو ونصب الراء، أي يميز ما يصوره بتفاوت الهيئات.

المبحث الثالث: أركان القراءة الصحيحة.

لقد اجمع العلماء على وضع ضوابط للقراءة الصحيحة والمعنى أن أية قراءة افتقدت إلى ركن من هذه الأركان لا تعدّ صحيحة، وهي
أ- أن تكون القراءة موافقة لوجه من وجوه اللغة العربية.

1- اختلاف أوزان الأسماء من الواحدة والتثنية والجمع والتذكير والمبالغة ومن أمثله: [والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون]¹ وقرئ لأماناتهم بالإفراد.

2- اختلاف تصريف الأفعال وما يسند إليه نحو الماضي والمستقبل والأمر: وان يسند إلى المذكر والمؤنث والمتكلم والمخاطب - والفاعل والمفعول به: ومن أمثله: [قَالُوا رَبَّنَا بُعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا] بصيغة الدعاء، وقرئ: [ربنا باعد] فعلا ماضيا.²

3- وجوه الإعراب: ومن أمثله "ولا يضار كاتب ولا شهيد" وقوله [ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدِ]³ برفع المجيد.

4- الزيادة والنقصان: مثل [وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى]⁴.

5- التقديم والتأخير: مثل [فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ]⁵ فقرئ فيقتلون ويقتلون.

6- القلب والإبدال في كلمة بأخرى، أو حرف بأخر مثل: [وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا]⁶ بالزاي، وقرئ: ننشزها بالراء.

1 - سورة الحشر، الآية 24.

2 - سورة سبأ، الآية 19.

3 - سورة البروج، الآية 15.

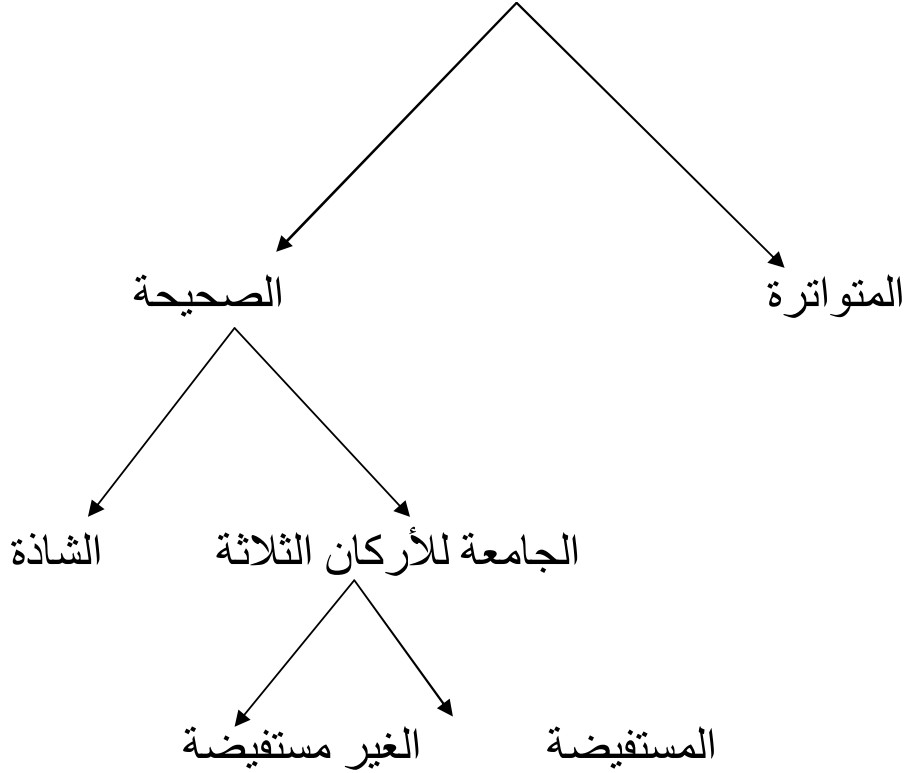
4 - سورة الليل، الآية 3.

5 - سورة التوبة، الآية 111.

6 - سورة البقرة، الآية 259.

7- اختلاف اللغات: مثل [هل أتاك حديث موسى] ¹بالفتح في "أتى" و"موسى" وغير ذلك من ترقيق وتضخيم وإدغام.

الخلاصة:
القراءة



¹ - سورة طه، الآية 9

ثالثاً- اختلاف القراءات سببه وفوائده:

1- اختلاف القراءات:

إن الاختلاف بين الناس مركوز في فطرتهم مطبوع في خلقهم، ولا يمكن ارتفاعه وزواله إلا بارتفاع هذه الخلقة ونقلها إلى جبله غير هذه الجبلية، فكل إنسان يتفرد بصورة وجهه، ونبرة صوته وبصمة بنانه يتفرد كذلك بلون تفكيره وميوله وذوقه ونظرتة إلى الأشياء والأشخاص والمواقف والأعمال، وان من العبث أن يراد صب الناس كلهم في قالب واحد في كل شئ¹ وجعلهم نسخا مكررة، ومحو الاختلاف بينهم فهذا غير ممكن والاختلاف المقصود هاهنا اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد لان الاختلاف كما يقرر العلماء نوعان:

1- **اختلاف تضاد** وهو مذموم في غالبه لما له من سوء العاقبة، ومن نتائج سيئة من تنافر وعداوة وبغضاء وقد ذمه الشرع "قرآناً وسنة".

أ- جاء في القران في قوله تعالى: [وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ]²، وقد حذرنا الله تعالى من السقوط في علل أهل الأديان السابقة، وقص علينا تاريخهم للعبرة والحذر فقال تعالى: [مَنْ أَلْدَيْنَ فَرَّقُوا بَيْنَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ]³.

ب- و ورد في السنة: روى البخاري عن أبي مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رجلا قرأ آية محسن ولا تختلفوا فان من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا.

قال العلامة ابن الوزير معلقا على هذا الموضوع: فهذا الخلاف الذي نهى عنه وحذر منه الهلاك هو: الخلاف المؤدي إلى التعادي فأما الاختلاف بغير تعاد فقد أقرهم عليه، إلا تراه قال لابن مسعود: كلاكما محسن، حين اخبره باختلافهما في القراءة ؟ ثم حذرهم من الاختلاف بعد الحكم بإحسانهما في ذلك الاختلاف، فالاختلاف المحذر منه غير الاختلاف المحسن به منهما، فالمحذر منه التباعد والتعادي والتكاذب المؤدي إلى فساد ذات البين وضعف الإسلام وظهور أعدائه على أهله، والمحسن هو عمل كل احد بما علم مع عدم المعادة لمخالفة والطعن عليه.⁴

¹ - التواتي بن تواتي، المرجع السابق، ص 257.

² - سورة الأنفال، الآية 46

³ - سورة الروم، الآية 31-32

⁴ - المرجع نفسه، ص 259.

2- **اختلاف تنوع:** إن الاختلاف في وجهات النظر وتقدير الأشياء، والحكم عليها أمر فطري طبيعي له علاقة بالفروق الفردية واللهجية والتكوين الفيزيولوجي والتشكيل الصوتي فكل هذا أمر مباح، وكان حكمة الله اقتضت أن يكون بين الناس بفروقهم الفردية وغيرها، سواء كانت خلقية أم مكتسبة وبين الأعمال في الحياة تواعد والتقاء، وكل ميسر لما خلق له، وعلى ذلك فالناس مختلفون ولم يقتصر هذا الاختلاف على البشر بل خالف بين الطبيعة لنفسها.

وكذلك طبيعة الكون والحياة: أما طبيعة الكون الذي نعيش فيه أو بتعبير أدق في جزء صغير جداً منه، فقد خلقه ربه مختلف الأنواع والصور والألوان، وهذا الاختلاف الذي نبه عليه القرآن ليس اختلاف تضارب وتناقض بل هو اختلاف تنوع وتلون ولهذا تكررت في القرآن كلمة "مختلف ألوانه" في أكثر من سورة وأكثر من مناسبة.

وهناك أمران لا بد من بيانهما بالنسبة للاختلاف هو أن الاختلاف قسمان: اختلاف في الفقه واختلاف في القراءات:

أ- أما الاختلاف الفقهي فهو أمر اجتهادي وليس غرضنا أن نخوض في هذا النوع من الخلاف وأسبابه التي أدت إلى الخلاف الأعظم بين من كان من السلف والخلف.¹

ب- أما الاختلاف في القراءات: هو توقيف من الله تعالى فهو موضوع بحثنا وغرضنا أن نذكر الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين القراء في القراءات وعلى هذا يتعين علينا أن نذكر الفرق بين الخلاف والمخالفة كما وضحه العلماء وهو أمر أباحه الشارع الحكيم تيسيراً ورحمة وقد اختلف الصحابة رضي الله عنهم في القراءة وأقرهم على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد كل واحد محسن فيما قرأ كما بيناه في الفصول السابقة.

2 - أسباب الاختلاف:

هناك أسباب عدة لاختلاف القراءات وكلها من الله تعالى تيسيراً ورحمة منه بعباده إلى يوم الدين، ويمكن حصر هذه الأسباب فيما يلي:

أولاً: **اختلاف قراءة النبي صلى الله عليه وسلم:**

¹ - المرجع نفسه، ص 260.

فقد ثبت انه صلى الله عليه وسلم قرأ القرآن بقراءات مختلفة كلها وحي وجاء في الصحيح: (نزل القرآن على سبعة أحرف) وقوله صلى الله عليه وسلم "أقراني جبريل القرآن على حرف واحد فاستزدته..." الحديث.

ثانيا: اختلاف تقرير النبي صلى الله عليه وسلم لقراءة المسلمين:

قال ابن قتيبة، فكان من تيسيره أن أمره بأن يقرئ كل قوم بلغتهم وما جرت عليه عادتهم....ولو أن كل فريق من هؤلاء أمر أن يزول عن لغته وما جرى عليه اعتياده طفلا وناشئا وكهلا لاشتدت عليه ذلك وعظمت المحنة...

ثالثا: اختلاف النزول.

وهو ما صرح به صاحب كتاب المباني في مقدمته فقال: والوجه الثالث من القراءات هو ما¹ اختلف باختلاف النزول بما كان يعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن على جبريل في كل شهر رمضان وذلك بعدما هاجر إلى المدينة فكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلقون منه حروف كل عرض فمنهم من يقرأ على حرف ومنهم من يقرأ على آخر إلى أن لطف الله تعالى بهم فجمعهم على آخر العرض أو على ما تأخر من عرضين أو ثلاثة حتى لم يقع في اختلاف إلا في أحرف قليلة، وألفاظ متقاربة والذي وقع من اختلاف حروف الهجاءات فيما اجمعوا عليه فرقها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على المصاحف حين انسخوها لئلا تذهب... و لهذه العلة اختلفت مصاحف أهل الشام وأهل العراق وأهل الحجاز في أحرف معدودة على ما ذكرناه قبل هذا الفصل.

رابعا: أثر رسم المصحف في اختلاف القراءات:

يجب أن نقرر حقيقة أن الاختلاف في وجوه القراءات، وعلى الأخص ما يتعلق منها بعلم الصوتيات موغل في القدم يعود إلى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بدليل حادثة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع هشام بن حكيم، وقضية أبي والرجلين الذين خالفاه وخالف كل منهما الآخر في قراءة سور النحل، وهذا أبو عبيد القاسم بن سلام، وهو من أوائل الذين من ألفوا في القراءات، فقد نقل في كتابه قراءات عن خمسة وعشرين قارئاً حسبما يقول ابن الجزري يذكر في أول كتابه من نقل عنهم شيء من وجوه القراءة من الصحابة وغيرهم، فإذا فيهم إلى جانب الخلفاء الراشدين، وثلاث من أزواج الرسول صلى الله عليه وسلم.

¹ - التواني بن التواني، المرجع السابق، ص263.

وإذا دققنا البحث في التراث القديم، وأمعنا النظر في استجلاء أسباب الاختلاف في القراءات نجدها ترجع إلى عوامل عدة منها:

1- اختلاف كتابة المصاحف: هناك رأي يرى فيه صاحبه إن عدم نقط المصاحف وشكلها واجتهاد القراء في قراءتها دونما اعتماد على رواية أو نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم¹ وفي هذا يقول المستشرق "جولد تسهير" ترجع نشأة قسم كبير من هذه الاختلافات إلى خصوصية الخط العربي الذي يقدم هيكل المرسوم مقادير صوتية مختلفة تبعاً لاختلاف النقاط الموضوعية فوق هذا الهيكل أو تحته وعدد تلك النقاط.

نقد رأي جولد تسهير: وما ذهب إليه هذا المستشرق رده كثير من الباحثين ورأوا فيه كثيراً من التحامل والإجحاف وعدم الدقة وتحري الصواب وقد جاءت ردودهم ملخصة في المضامين التالية:

- 1- إن شيوع ظاهرة اختلاف القراءات كانت قبل تدوين المصاحف الأئمة، كان الاعتماد في نقل القرآن على الحفظ في الصدور لا على حفظ المصاحف.
- 2- اعتماد القراء على النقل و الرواية لا على الاجتهاد في القراءة كما يظن هذا المستشرق

خامساً: اختلاف اللهجات.

إن اللغة العربية ما استقام أمرها على منهج سليم موحد سير القرآن وتأثيره وما ضمن لها البقاء والحفظ والخلود إلا بسبب خلوده وبقائه وحفظه من لدن حكيم خبير، وهناك أمثلة كثيرة تبين هذا الاختلاف اللّهي بين القبائل العربية، حيث ذكر ابن جني بعضاً منها كالشكشة والكسكسة والعججة وغيرها.

فلما نزل القرآن كان يشمل جميع هذه اللهجات العربية المختلفة المتباينة إلا أنه ساعدها على التقارب بعد التباعد على التآلف بعد التنافر، وجمعها أخيراً على لهجة واحدة هي القرشية، ولما كان هذه اللهجات مبنوثة في القرآن الكريم، لأنه نزل بلسان عربي مبين كان من البدهاة إن تختلف قراءاته لاختلاف اللهجات التي نزل بها: نزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف².

المبحث الرابع: علاقة الأحرف السبعة بتعدد القراءات.

1- مفهوم الأحرف السبعة:

¹ - المرجع نفسه، ص 264.

² - المرجع نفسه، ص 264.

لقد اختلف العلماء في المراد بالأحرف السبعة مع تأكيدهم على انه لا ينبغي شرحها يكون الحرف الواحد يقرأ على سبعة أوجه، حيث إن ذلك لا يوجد إلا في كلمات معدودة مثل "أف وجبريل، هيهات ..."¹ وأشهر ما قيل بهذه الأحرف قولان:

الأول: أنها سبع لغات متفرقة في القرآن، فقد روى أبو عبيد ابن عباس قال نزل القرآن على سبع لغات منها خمس بلغة العجز من هوازن والعجز هم سعد بن بكر وجشم بن بكر ونصر بن معاوية، و ثقيف وهذه القبائل هي التي يقال عليها هوازن وهم الذين قال فيهم أبو عمرو بن العلاء: أفصح العرب عليا هوازن وسفلى تميم، فهذه عليا هوازن، وإما سفلى تميم. فبنو دارم وأصحاب هذا القول يرون إن الأحرف السبعة إنما هي أحرف متفرقة في سور القرآن، لا أنها لغات مختلفة في كلمة واحدة مع اتفاق المعنى.

الثاني: أن الأحرف السبعة أوجه من المعاني المتفقة والمتقاربة بألفاظ مختلفة نحو اقبل وتعال وهلم وأسرع ونسب هذا الرأي لأكثر العلماء فهي إذن سبع لغات من لغات العرب في المعنى الواحد، قال الطبري وهو من أئمة هذا الرأي: الأحرف السبعة التي انزل الله تعالى بها القرآن هي لغات سبع في حرف واحد وكلمة واحدة باختلاف الألفاظ وإتقان المعاني كقول القائل: "هلم واقبل وتعال إلي وقصدي ونحوي وقربي ونحو ذلك مما اختلف فيه الألفاظ بضروب المنطق وتتفق فيه المعاني إن اختلفت بالبيان به الألسن، مثال "ما ذكر عن أبي انه كان يقرأ كلما أضاء لهم مشوا فيه (مروا فيه).

2- الأحرف السبعة والقراءات القرآنية.

روى البخاري في الجامع الصحيح عن أبي عباس إن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "أقراني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف" وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن هذا القرآن انزل على سبعة أحرف فاقروا ما تيسر منه.

وهذا الحديث من الأحاديث المتواترة، فقد رواه جمع من الصحابة رضي الله عنهم مما يقطع الشك في صحة سنده، وعلى الرغم من تواتره إلا أنه يعد من الأحاديث المشككة إذ لم يأت في معنى الأحرف السبعة بعض ولا اثر، كما أن الحرف في اللغة من الألفاظ المشتركة التي تصدق الكلمة، والمعنى والجهة.

¹ - الوجيز في فضائل الكتاب العزيز، ص143.

ونتيجة لذلك فقد اختلف العلماء في تفسير هذا الحديث وتضاربت أقوالهم بشأنه وتعددت آراؤهم في معناه، حتى قال السيوطي في الإتقان: اختلف في معنى هذا الحديث على نحو أربعين قولاً.¹

وكان ابن قتيبة من أوائل الذين انبروا لتفسير هذا الحديث، فرأى إن قوله انزل على سبعة أحرف، أي سبعة أوجه من اللغات، حيث قال في معرض رده على الطاعنين بالقران في تعدد وجوه القراءات وقد غلط في تأويل هذا الحديث قوم فقالوا: السبعة أحرف وعد ووعيد، وحلال وحرام، ومواعظ وأمثال، واحتجاج وقال آخرون هي سبع لغات في الكلمة، وقال قوم: حلال وحرام وأمر ونهي، وخبر ما كان قبل، وخبر ما هو كائن بعد وأمثال وليس بشي من هذه المذاهب لهذا الحديث بتأويل وإنما تأويل قول صلى الله عليه وسلم "نزل القرآن على سبعة أحرف على سبعة أوجه من اللغات متفرقة في القرآن ويدل على ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقروا كيف شئتم ثم يحاول ابن قتيبة أن يربط بين ذلك الحديث ووجوه القراءات، فيرى أن وجوه الاختلاف في القراءات تنحصر في سبعة أوجه، فنجده يقول "وقد تدبرت وجوه الخلاف في القراءات فوجدتها سبعة أوجه:

أولها: الاختلاف في إعراب الكلمة، أو في حركة بنائها بما لا يزيلها عن صورتها في الكتاب ولا يغير معناها نحو قوله تعالى(هؤلاء بناتي).
 ثانيها: أن يكون الاختلاف في الكلمة وحركات بنائها بما يغير معناها ولا يزيلها عن صورتها نحو قوله تعالى [رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا]².
 ثالثها: أن يكون الاختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها بما يغير معناها ولا يزيل صورتها. نحو قوله تعالى: [وانظر إلى العظام كيف ننشزها]³ ننشرها.
 رابعها: أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يغير صورتها في الكتاب ولا يغير معناها، نحو قوله تعالى [إن كانت إلا صيحة واحدة] وردت في حرف عبد الله بن مسعود [إن كانت إلا زقية واحدة] والزقية هي الصيحة في اللغة.
 خامسها: أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها نحو قوله تعالى : [وطلع منضود] في موضع [وطلح منضود].

¹ - حسين حامد الصالح دار ابن حزم، التأويل اللغوي في القرآن الكريم، بيروت، ص 169.

² - سورة سبأ، الآية 19.

³ - سورة سبأ، الآية 19.

سادسها: أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير نحو قوله تعالى: [وجاءت سكرة الموت بالحق].

سابعها: أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان، نحو قوله تعالى: "[إن الله هو الغني الحميد] ⁴ و [إن الله الغني الحميد].

الفصل الثاني

تجليات دلالة السياق
في توجيه القراءات
القرآنية.

المبحث الأول: دلالة السياق وأثرها في تفسير الآيات القرآنية

دلالة السياق معتبرة في الشريعة الإسلامية ، فهي ليست وليدة هذه الأزمان المتأخرة ، وإنما هي مرتبطة باللغة العربية ارتباطاً وثيقاً منذ القدم ، فلا يفهم الكلام عند العرب إلا ضمن سياقه ، و القرآن الكريم نزل بلغة العرب ، يقول الله تعالى : (وإنه لتنزيل رب العالمين -192- نزل به الروح الأمين -193- على قلبك لتكون من المنذرين -194- بلسان عربي مبين -195-) ¹ ، والنبي صلى الله عليه وسلم - أفصح العرب ، وأعلمهم بدلالات ألفاظ العربية ، يقول الإمام الشافعي - رحمه الله - :ولسان العرب أوسع الألسنة مذهباً ، وأكثرها ألفاظاً، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي ، ولكنه لا يذهب منه شيء على عامتها - اعتبار هذه الدلالة - أي السياق واستخدامه لها مما يدل على أهميتها وأصالتها ، فمن ذلك:

1- قوله - ص - لعائشة - رضي الله عنها عندما سألته عن قوله - عز وجل

(والذين يؤتون مائة وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون(60))² ، فقالت : هم الذين يشربون الخمر و يسرقون ؟ فقال - صلى الله عليه وسلم - لا يا بنت الصديق ، ولكنهم الذين يصلون ويصومون ويتصدقون ، وهم يخافون ألا يقبل منهم (أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون)³ فالنبي- صلى الله عليه و سلم -استدل على هذا المعنى باستخدام دلالة السياق، فاستدل بإلحاق الآية على المعنى المراد. فإذا نظر للآية الكريمة بمفردها بمعزل عن سياقها، فإنها حينئذ تتحمل معنيين متضادين:

الأول : ما فسرنا به النبي صلى الله عليه وسلم و هو أن المراد بها الذين يعملون الطاعات وهم خائفون ألا تقبل منهم لتقصيرهم .
و الثاني : ما فهمته عائشة - رضي الله عنها - و هو المراد منها الذين يعملون المعاصي وهم خائفون من لقاء الله - عز وجل -

¹ سورة الشعراء = 105-192

² سورة المؤمنين 60

³ سورة المؤمنين 61 (5) رواه الترمذي في الجامعة (236/5) في أبواب تفسير القرآن ، باب ، ومن سورة المؤمنين برقم (3175) وصححه الألباني - رحمه الله - في السلسلة الصحيحة (162) وغيرها "وقد رواه بدون زيادة الآية ابن ماجة في سننه (1404/2) في كتاب الزهد ، باب التوقي على العمل برقم (4198)

وإذا نظر لها في سياقها فإنه حينئذ يترجح أحد المعنيين و هو الأول، وهذا ما عمله - صلى الله عليه وسلم - لم يكتف ببيان المعنى الحق و الصواب في هذه الآية ، بل دلل على هذا باستخدام دلالة السياق .

2- عن ابن المسعود - رضي الله عنه - أنه قال: لما نزلت هذه الآية: (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم المهتدون)¹، شق ذلك على المسلمين فقالوا : يا رسول الله : أين لا يظلم نفسه ؟ فقال - صلى الله عليه وسلم - : ليس ذلك ، إنما هو الشرك . ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه : (يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلمٌ عظيم)²؛ رواه البخاري ومسلم³

فهنا قد يقال إن النبي - صلى الله عليه وسلم - استخدم دلالة السياق القرآني في هذا الموضوع لبيان المعنى ، ثم نبه على أنه قد يطلق الظلم ويراد به الشرك كما في قول لقمان لابنه : (يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) فسياق الآية و المقطع والسورة، يدل على أن المراد بالظلم هنا الشرك.

فأما سياق الآية : "فقد قال الله تعالى : (ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) ، ولم يقل : "ولم يظلموا أنفسهم " ، ولبس الشيء بالشيء : تغطيته به وإحاطته به من جميع جهاته ، ولا يغطي الإيمان ويحيط به ويلبسه إلا الكفر والشرك " . و أما السياق المقطع :

فسياق الآية : (وَإِذَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ إِازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي ~ أُرِكَ وَقَوْمِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ وَكَذَلِكَ نُرِي ~ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْأَفْلِينَ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لئن لم يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجْهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَحَاجَهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتَّحَابُونِي فِي اللَّهِ وَ قَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ وَكَيْفَ

¹ سورة الأنعام:82

² سورة لقمان : جزء من الآية 13

³ رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى (ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر الله) (لقمان:12) ، برقم (3429) و اللفظ له و مسلم في كتاب الإيمان ، باب صدق الإيمان و إخلاصه ، (242).

أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنْتُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِأَمْنٍ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ¹

فيخبر الله عن محاجة إبراهيم - عليه السلام - لقومه في توحيد الله - عز وجل - ، و إبطاله لشركهم بالأدلة العقلية ، فبعد إن أبطل شركهم بالأدلة وتبرأ منه كما جاء في الآيات من 72 إلى 79، وصرح بمعتقدده وهو: توحيد الله - عز وجل - ، وذكر بعض الأدلة على استحقاق الله للعبودية وحده دون ما سواه (إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض) ، وتبرأ مرة أخرى من الشرك وكذا من أهله (حنيفا وما أنا من المشركين) ، وأخذ قومه يحاجونه في الله ويخوفونهم من بطش ألهتهم بدليل قوله تعالى عن إبراهيم - عليه السلام - مستنكرا قولهم وتخويفهم (قال أتجاجوني في الله وقد هدان) فنفي إبراهيم - عليه السلام - خوفه منها بقوله : (ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا) أي : لكن أخاف مشيئة ربي شيئا مما أخافه ، ويكون الاستثناء بهذا منقطعا² ، وفي هذا الاستدراك زيادة نكاية لقومه : إذا كان لا يخاف ألهتهم في حين أنه يخشى ربه المستحق للخشية - إن كان قومه لا يعترفون برب غير ألهتهم³ - وقيل الاستثناء متصل ، فيكون المعنى : إلا وقت مشيئة ربي شيئا أخافه من ألهتهم بأن يسلطها علي فذلك من قدرة ربي بواسطتها لا بقدرتها علي⁴

ثم قام بالإنكار عليهم عدم تذكرهم وتفكرهم في صفات الله وخلقهم بما يؤكد استحقاقه للعبادة وحده دون سواه ، و في صفات ألهتهم المنافية لمقام الإلهية ، ونبههم على غفلتهم بقوله: (أفلا تتذكرون) ، ثم بعد ذلك يتعجب وينكر عليهم تخويفهم له بألهتهم التي لا تضر ولا تنفع ، وهم لا يخافون من الله - سبحانه وتعالى - الذي بيده النفع والضرر .

و الأمر كله عندما أشركوا معه غيره بدون حجة ولا برهان ، وهنا لطيفه نبه عليها أبو حبان الأندلسي - في تفسيره البحر المحيط⁵ و هي : اختلاف متعلق الخوف ، فبالنسبة إلى إبراهيم - عليه السلام - علق الخوف بالأصنام ، وبالنسبة إلى قومه

¹ سورة الأنعام 84-81

² قاله الطبري في جامع البيان (364/9) وابن عطية في المحرر الوجيز (306/3) ، واستظهره ابن

عاشور في التحرير والتنوير (185/6)

³ لتحرير والتنوير (185/6)

⁴ قاله الزمخشري في الكشاف (25/2)

⁵ (175/4،)

علقه بإشراكهم بالله تعالى تركا للمقابلة ، لئلا يكون الله عديل أصنامهم – تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا – لو كان التركيب " ولا يخافون الله تعالى " ، وأتى بلفظ (ما) لما لا يعقل ؛ لأن الأصنام لا تعقل إذا هي حجارة وخشب وكواكب "

ثم يفرع هذا التعجب والإنكار استفهاما وملجئا إلى الاعتراف بأنهم أولى بالخوف من الله تعالى منه من آلهتهم، فيقول: (فأبي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون)¹ أي: من أحق بالأمن ؟ الذي أخلص دينه لله وحده ونبذ الشرك وأهله، أم الذين أشركوا مع الله غيره في عبادته؟ فيأتي الجواب ب (الذين ءامنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) ، فأهل الإيمان والتوحيد الذين لم يخلطوا إيمانهم بشائبة الشرك هم الآمنون والمهتدون في الدنيا والآخرة ، فهذه الآية في سياق المحاجة بين أهل الشرك في شأن العبادة ، والخوف والأمن المترتب عليها . ثم بعد ذلك يأتي لحاق الآية مؤيدا لهذا الفهم ، ومبيناً أن هذه الحجج التوحيدية ودحض الشبه الشركية هي من الله – عز وجل – تأييدا لخليله إبراهيم – عليه السلام- فيقول الله تعالى: (وتلك حجتنا ءاتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم)² ومما يؤيد هذا المعنى ان إبراهيم – عليه السلام – لم يكن حينئذ داعيا إلا إلى توحيد الله – عز وجل – ولم تكن له بعد شريعة ليصلح حمل الظلم الأكبر الذي هو الشرك³

وأما سياق السورة فالسورة مكية وهي " من أولها إلى آخرها مقررة لقواعد التوحيد ، وهادمة لقواعد الشرك " كما قال الشاطبي⁴ وقال أبو إسحاق الإسفراييني في سورة الأنعام كل قواعد التوحيد⁵

فكل مقاطع السورة (ما قبل مقطعنا هذا وما بعده) خادمة لهذا الأصل : تقرير عقيدة التوحيد، ودحض الشرك وشبهه، فلأن يكون هذا المقطع الذي نحن بصدد الكلام فيه موافقا لما قبله وما بعده أولى، ثم إن جدل النبي – صلى الله عليه وسلم – مع قومه كان في شأن التوحيد ودحض شبه الشرك ، ولذلك ضرب الله له هذا المثل (قصة إبراهيم مع قومه فعلم أن هذه المحاجة بين إبراهيم – عليه السلام –

¹ التحرير والتنوير (187/6)

² سورة الانعام: 83

³ ينظر التحرير والتنوير (188/6)

⁴ الموافقات (27/4)

⁵ نقله عن الطاهر بن عاشور في تفسيره التحرير و التنوير (7/6)

مع قومه متمحضة في شأن التوحيد ، وهدم أصول الشرك ؛ ولأنّ موقفي الجدل متوافقان من حيث السياق الهادف إلى تقرير قواعد التوحيد وهدم قواعد الشرك.

إن الله عز وجل أنزل كتابه هدى للعالمين (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين)¹ (القران الكريم برواية ورش عن نافع) وهذه الهداية لا تتأتى لمريدها إلا عند تدبره وطلب تفسيره ، ولذلك ربط الله التنزيل بالتدبر فقال (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليتدبروا آياته و ليتذكر أولو الألباب)² (القران الكريم برواية ورش عن نافع) ووبخ الذين يضربون صفحاً عن فهم معاني القرآن الكريم، و يعرضون عن تدبره فقال (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوبهم أقفالها)³ فأصل الوقوف على معاني القرآن هو التدبر والتفكير⁴ ، ولا شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده من تدبر القرآن ، وحقيقة التدبر هي إمعان النظر والتفكر في سياق الآية أو الآيات أو الربط بينها للوصول إلى معرفة المراد منها، وبالتالي ينتج العمل بها.

فدراسة السياق القرآني في حقيقته إعمال الأمر بالتدبر للقرآن، ولقد سلك العلماء طرقاً في تفسير كلام الله-عز وجل - أحسنها: تفسير القرآن بالقرآن نفسه، ولتفسير القرآن بالقرآن مرتبتان⁵ أعلاهما: أن يكون في محل واحد، أن يكون عقبه ، وهذه المرتبة يدخل تحتها نوعان من أنواع السياق : سياق الآية و سياق المقطع.

¹ سورة البقرة الآية 2

² سورة ص الآية 29

³ سورة محمد الآية 24

⁴ نظر البرهان في علوم القرآن للزركشي رحمه الله / (185/2)

⁵ انظر المرجع السابق (186/2)

المبحث الثاني: نماذج تطبيقية

و من أمثلة ما ورد في تفسير ابن كثير _ رحمه الله _¹ لقوله تعالى (على الأرائك ينظرون 23) (23المطففين): قيل معناه: ينظرون في ملكهم وما أعطاهم الله من الخير والفضل الذي لا ينقضي ولا يببىد. وقيل معناه: (على الأرائك ينظرون) إلى الله عز وجل . وهذا مقابل لما وصف به أولئك الفجار (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون 15) (المطففين 15) فذكر عن هؤلاء أنهم يبأحون النظر إلى الله عز وجل وهم على سررهم وفرشهم.²

ومن هنا يظهر أن ابن كثير _ رحمه الله _ نظر إلى سياق الكلام في سابقه تصحيحا لهذا التفسير، حيث إن الآية تحمل على المعنيين لكن ابن كثير رجح احدهما باعتبار السياق .

ومثال ذلك أيضا قوله تعالى : (وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان) (الأنفال 41) حيث استدل بهذه الآية على أن أول نزول القرآن كان في ليلة السابع عشر من رمضان ، في غزوة بدر ، فقيل : " الظاهر إن معناه : وما أنزلنا على عبدنا محمد من الوحي والملائكة والفتح في ذلك اليوم المشهود الذي فرق الله فيه بين الحق والباطل في أول موقعة تاريخية انتصر فيها الإسلام ، وقام للمسلمين بسببها دولة ، والى هذا الرأي جنح أكثر المفسرين ويؤيده سياق نظم القرآني الكريم ، فإن الآية نزلت لترويض قلوب المسلمين على الرضا بما شرع الله قسمة ونجد مما أورده ابن الزبير الغرناطي _ رحمه الله _ في قوله تعالى (قل أراءيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من اله غير الله يأتكم بضياء أفلا تسمعون 71 قل أراءيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من اله غير الله يأتكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون) (القصص71/72) ، فقد ختم الآية الأولى بقوله : (أفلا تسمعون) ، والثانية بقوله : (أفلا تبصرون) حيث أجاب عن ذلك _ رحمه الله _ بقوله : " والجواب ...: أن قوله تعالى في الآية الأولى : (أفلا تسمعون) مناسب للمدرك ليلا من ضربى ما يعتبر به المسموعات والمبصرات ، وإنما تدرك فيه المسموعات ، لأن ظلمة الليل غير مانعة من إدراكها ، فجيء بما يناسب أيضا ،

¹ هو إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقى الشافعى ، الإمام الفقيه المحدث المفسر ، له تصانيف مفيدة ، يدري الفقه ويفهم العربية و الأصول ، ويحفظ جملة صالحة من المتون والتفسير والرجال وأحوالهم ، مات سنة 774هـ (ينظر معجم المحدثين 74/1 ، وطبقات الشافعية 85/3)
² تفسير ابن كثير 487/4

فقيل: (أفلا تبصرون) لأن المبصرات تدرك نهارا ولا تدرك ليلا ، فجيء مع كل بما يناسب والله أعلم¹

ومثاله : قوله تعالى : (وإنه على ذلك لشهيد 7) (العاديات 7) قيل: الضمير يحتمل أن يكون عائدا إلى الإنسان ، وان يكون عائدا إلى رب الإنسان المذكور في قوله تعالى (إن الإنسان لربه لكنود 6) (العاديات6) ولكن النظم الكريم يدل على عوده إلى الإنسان ، وإن كان هو الأول في اللفظ ، بدليل قوله بعده: وانه لحب الخير لشديد، فإنه للإنسان بلا نزاع ، وتفريق الضمائر ، بجعل الأول للرب والثاني للإنسان لا يليق بالنظم الكريم².

زيادة على ذلك ما قاله أبو السعود _رحمه الله_³ في قوله تعالى: (قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا 18) (مريم18): (إن كنت تقيا) أي تتقي الله تعالى وتبالي بالاستعاذة به، وجواب الشرط محذوف، ثقة بدلالة السياق عليه ، أي : فإني عائذة به أو فتعوذ بتعوذي أو فلا تتعرض لي " ⁴.

ومن ذلك قوله تعالى: (والنجم والشجر يسجدان 6) (الرحمان6) فالنجم يراد به الفلك الدوار في أبراج السماء ، ويراد به النبات الصغير قسيم الشجر وهو ما لم يقم من النبات على ساق، ومجيء الشجر في سياق الآية الكريمة يدل على أن المراد بالنجم هو المعنى الثاني⁵.

ونذكر ما جاء به ابن جرير الطبري _رحمه الله_ في تفسيره لقوله تعالى : (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) (البقرة 194) : " اختلف أهل التأويل فيما نزل فيه قوله : (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) فقال بعضهم :.. هذا ونحوه نزل بمكة و المسلمون يومئذ قليل ، وليس لهم سلطان يقهر المشركين، وكان المشركون يتعاطونهم بالشتم و الأذى فأمر الله المسلمين من يجازي منهم أن يجازي بمثل ما أوتي إليه أو يصبر أو يعفو فهو أمثل ، فلما هاجر

¹ ملك التأويل 910/2_911

² ينظر التسهيل لعلوم التنزيل 214/4

³ هو المولى أبي السعود محمد بن محمد مصطفى العمادي ولد سنة 896هـ. وهو سلطان المفسرين مقدمة جيش المتأخرين وتفسيره من أكمل التفاسير وصنف الحاشية على تفسيره الكشاف بلغها إلى آخر سورة الفتح وسماها معاهد النظر توفي سنة 982هـ أنظر طبقات المفسرين للداودي 398/1

⁴ تفسير أبي السعود 260/5

⁵ ينظر المعنى بين الدلالة المعجمية و الدلالة السياقية في قصة محمد بن المؤمل للجاحظ للدكتور محمد العريان ص 18

رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ إلى المدينة وأعز الله سلطانه أمر المسلمين أن ينتهوا في مظالمهم إلى سلطانهم ، وأن لا يعدو بعضهم على بعض كأهل الجاهلية . أما قوله تعالى : (والمطلقات يتربصن) (البقرة228) وقوله تعالى: (والوالدات يرضعن أولادهن) (البقرة223) ، نجد أسلوب الخبر لكن المراد من ذلك الأمر ، والمرشد هنا هو السياق ، فالصيغة كانت مقصودة لدلالة الأمر ، قال الزركشي _ رحمه الله _ عن هاتين الآيتين : " السياق يدل على أن الله تعالى أمر بذلك ، لا أنه خبر وإلا لزم الخلف في الخبر ¹ "

ونجد عند الشنقيطي _ رحمه الله _²: قوله تعالى : (فإذا أحسن فإن أتين بفاحشة) أي : فإذا تزوجن ، وقول من قال من العلماء ، إن المراد بالإحصان في قوله : (فإذا أحسن) الإسلام خلاف الظاهرة من سياق الآية في الفتيات المؤمنات حيث قال : (ومن لم يستطع منكم طولا) (النساء25) ³ .

وقال ابن كثير _ رحمه الله _ في تفسير هذه الآية : أن المراد بالإحصان هنا التزويج لأن سياق الآية يدل عليه حيث يقول سبحانه وتعالى : (ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات)(النساء25) والله أعلم ، والآية الكريمة ساقها في الفتيات المؤمنات فتعين أن المراد بقوله (فإذا أحسن) : أي تزوجن كما فسره ابن عباس وغيره ⁴

من هنا يتضح لنا ما قاله صاحب كتاب دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم: أما السياق القرآني فإننا نقصد به الأغراض و المقاصد الأساسية التي تدور عليها جميع معاني القرآن إلى جانب النظم الإعجازي و الأسلوب البياني الذي يشيع في جميع تعبيراته⁵، وهذا الكلام يشابه كثير ما يطلق عليه الوحدة الموضوعية.

أما أصحاب رسالة دلالة السياق فقد قال: كلمة السياق في تعبير المفسرين تطلق على الكلام الذي خرج مخرجا واحدا، واشتمل على غرض واحد، مع ملاحظة أن

¹ البرهان 32/2

² هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر بن المختار الجكني الشنقيطي، ولد سنة 1305هـ، وله تفسير أضواء البيان مات سنة 1393هـ. ودفن بمكة ينظر مقدمة كتابه للشيخ عطية محمد سالم)

³ ينظر أضواء البيان 233/1

⁴ تفسير ابن كثير 477/1

⁵ دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن ص88

الغرض من الكلام أو المعاني المقصودة بالذات هي العنصر الأساسي في مفهوم السياق¹

وقد توصل صاحب رسالة دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام إلى تعريف للسياق بعد استقراءه لاستعمال العلماء للسياق واعتمادهم عليه، ومن خلال وسائلهم وطرقهم في تحديده، ومن خلال صريح قولهم في مفهوم السياق ، وهذا التعريف الذي توصل إليه هو: " أنه الغرض الذي تتابع الكلام لأجله مدلولاً عليه بلفظ المتكلم ، أو أحوال الكلام ، أو المتكلم فيه ، أو السامع"².

¹ دلالة السياق للدكتور ردة الله الطلحي ص 51

² دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام: فهد الشتوي ص 27، وهذا ما اختاره فضيلة الدكتور محمد باز مول

خاتمة

- من خلال بحثنا في هذا الموضوع الموسوم ب (السياق وأثره في توجيه القراءات القرآنية) فإنه يمكن الإشارة لأهم النتائج المتوصل إليها هي كالآتي:
- 1- إن موضوع السياق عربي المنشأ وان كان غريبا من حيث التنظيم والاستقلال الموضوعي.
 - 3- السياق يرشد إلى تبين الجملات وتمييز المشكلات وترجيح الاحتمالات وتقرير الواضحات، وتخصيص العموم وتقييد المطلق.
 - 3- للسياق أهمية كبرى في تحديد واختيار الألفاظ والصيغ، فلكل لفظ وصيغة في القرآن الكريم دلالة خاصة يقتضيها السياق.
 - 4- إن السياق يعد الحل الأمثل لكثير من الإشكاليات التخاطبية فيما يخص الدلالة، فهو القرينة الفنية الكاشفة للوجه المراد من المفردات، إذ يقوم بعملية ترشيح دلالي للاكتناز المعنوي الموجود في المفردة الواحدة، وتثبيت دلالة واحدة مقصودة، كما يعمل أداة تعريفية بدقة الفارق المعنوي بين المفردات المتناظرة من حيث الدلالة.
 - 5- ولكل نمط من أنماط السياق خصوصيته، فالسياق الصرفي يركز على السوابق واللواحق والزوائد، فكل زيادة في المبنى ترفقها زيادة في المعنى.
 - 6- يرتبط السياق الصرفي بالسياق النحوي لتفاعل الصرف والنحو في سياق واحد
 - 7- السياق النحوي يبرز بواسطة البنية النحوية وعلاقات الكلمة و وظائفها ومواقعها من حيث التقديم والتأخير وغيره.
 - 8- دراسة السياق القرآني في حقيقته لإعمال الأمر بالتدبير للقرآن، فقد سلك العلماء طرقا في تفسير كلام الله عز وجل، أحسن تفسير القرآن نفسه، (سياق الآية و سياق المقطع).
 - 9- و في دور السياق في فهم النص القرآني وجب على المتلقي أن يلجأ إلى تأويلها على المعنى الذي تقتضيه بحيث يتعامل مع هذه النصوص تعاملًا كليًا بناء على سياقاتها الداخلية، دون فصلها عن السياق الخارجي.
 - 10- اهتم النقاد و الداليون و اللسانيون و الأسلوبيون بالسياق من وجهات نظر مختلفة مؤكدة على أنه له علاقة وطيدة بفهم النصوص سواء في ذلك ما تعلق بالسياق النصي أو السياق الخارجي و النص القرآني واحد من هذه النصوص التي ارتبطت ارتباطا وثيقا بالسياق.

قائمة

المصادر

والمرجع

قائمة المصادر و المراجع:

القرآن الكريم رواية ورش عن نافع.

بالعربية:

- أبي علي الفارسي، الحجة للقراءات السبع.
- ابن حني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، ج1.
- ابن منظور أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، 1992.
- البيلي أحمد، الاختلاف بين القراءات، ط 1، دار الجبل بيروت.
- الدكتور حامد الصالح دار ابن حزم، التأويل اللغوي في القرآن الكريم دراسة دلالية، للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص- ب، 14/6366.
- الزكرشي، البرهان في علوم القرآن.
- الوجيز في فضائل الكتاب العزيز.
- الوجيز في كتاب العزيز.
- تواتي بن تواتي، القراءات القرآنية وأثرها في النحو العربي و الفقه الإسلامي، دار الوعي للنشر.
- حسين حامد الصالح، التأويل اللغوي في القرآن الكريم، دار ابن الحزم، بيروت، لبنان، ص - ب 14/6366.
- ردة الله الطلحي، دلالة السياق.
- فهد الشتوي، دلالة السياق وأثرها في التوجيه اللفظي.
- محمد العريان، المعنى بين الدلالة المعجمية والدلالة السياقية.

فهرس

المحتوى

الإهداء.	
الشكر والعرفان.	
مقدمة.....	أ
- مدخل.....	10
مفهوم السياق.....	11
أنواع السياق.....	12
أهمية السياق.....	14
الفصل الأول: القراءات القرآنية والأحرف السبعة.....	16
المبحث الأول: مفهوم القراءات القرآنية.....	17
المبحث الثاني: أقسام القراءات القرآنية.....	18
المبحث الثالث: أركان القراءة الصحيحة.....	21
المبحث الرابع: علاقة القراءات القرآنية بالأحرف السبعة.....	26
الفصل الثاني: تجليات دلالة السياق في توجيه القراءات القرآنية.....	30
المبحث الأول: دلالة السياق وأثرها في تفسير الآيات القرآنية.....	31
المبحث الثاني: نماذج تطبيقية.....	36
خاتمة.....	40
قائمة المصادر والمراجع.....	42
فهرس المحتوى.....	44